رسائل جامعية

مناقشة رسالة

«ظاهرة التصويب اللغوي من خلال كتاب (شرح الفصيح) » لابن هشام اللخمي 577 هـ

تحقيق ودراسة للباحث عبد الكريم العوفي

إن موضوع هذا البحث الجامعي تقدم به الباحث عبد الكريم العوفي لنيل شهادة دكتوراة الدولة في الدراسات اللغوية من قسم اللغة العربية وآدابها كلية الآداب واللغات جامعة الجزائر .

الإطار العلمي للبحث : يتصل موضوع هذا البحث بالتراث اللغوي، ويعنى بوجه خاص بظاهرة (التصويب اللغوي) وأخال أن لهذا الموضوع أهمية بالغة في حياة أمتنا وهي تحيى حاضرها هذا الذي يموج بالعلل والأدواء اللسانية، مما يجعلها في أشد الحاجة إلى هذا الدواء التصويب اللغوي) لإبراء ألسنة الكثيرين من أبنائها مما تعاني منه في هذا الجانب من اعتلال واختلال ، وما أحوجنا اليوم إلى مثل هذه الأبحاث للإسهام في تصويب ما أصاب ألسنتنا من أدواء ، والمحافظة على سلامتها من العاهات اللسانية، في وقت استفحلت فيه أمراض العجمة واللكنة والرطانة! وأي أمر يكون أعظم شأنا عند الأمم الحية مما يعضدها في تحصين جنسيتها اللغوية والمحافظة على هويتها الحضارية ..؟

وتود هذه الكلمة أن تقترب مما دار في تلك الجلسة العلمية من نقاش ، ويمكن أن يتركز الحوار لإجلاء ذلك في هذه المحاور :

أولا- العربية بين السلف والخلف :

إن الذي يشهد أعمال هذه الجلسة العلمية يدرك أن توالي الأحقاب لن يزيد خبرة المتتبع لحركات البحث في حقل تراثنا اللغوي إلا عمقا بما يزخر به ذلك التراث من كنوز تنقضي الأيام وما ينقضي ما كشفت عنه عبقرية السلف مما يتميز به لساننا العربي من خصائص وأسرار..ومع ذلك ترى بعض الخلف زاهدين في لغتهم ، والهين بغيرها . فمن لناشئة الأمة من يشفيهم من هذه الأدواء ويبرئهم من هذه العلل، علل الانبهار بما عند الآخرين ، ويؤصل في قلوبهم لأسباب الحب والاعتزاز والتعظيم لمقومات شخصيتهم ومعطيات حضارتهم .؟

ثانيا- أعضاء اللجنة المناقشة :

تتكون لجنة مناقشة هذه الرسالة من الأساتذة الدكاترة التالية أسماؤهم : مختار نويوات رئيسا جامعة عنابة، عبد الله بوخلخال مقررا جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، عبد الكريم البكري عضوا جامعة وهران ، محمد حسين الأعرجي عضوا جامعة الجزائر .

ثالثا - افتتاح الجلسة :

كان أول المتدخلين الأستاذ نويوات رئيس اللجنة الذي افتتح أعمال الجلسة ثم أحال الكلمة إلى المشرف الأستاذ بوخلخال فاستهل حديثه بالإلماع إلى أن علاقته بهذه الرسالة لا تتجاوز حدود الصلة الإدارية ، أما المشرف الفعلي فهو الدكتور صبيح التميمي من العراق الشقيق ، وكان يعمل بجامعة الأمير عبد القادر بقسنطينة ، ثم غادرها وتعذر عليه الحضور للقيام بدوره في هذه الجلسة العلمية . وبعد هذه المعلومة انتقل الأستاذ بوخلخال إلى التعريف بالباحث .

ثم أحال رئس الجلسة الكلمة إلى صاحب الرسالة ليعرف هو بدوره ببحثه ، فأخذ الكلمة ومضى يبسط القول في جوانب بحثه ، مستهلا ذلك بالحديث عن خطته فأوضح أنها تتكون من قسمين رئيسين : أولا- التحقيق ، ثانيا - الدراسة ، وأشار إلى أن الدراسة تقع في تمهيد وثلاثة أبواب، تسبقها مقدمة وتعقبها خاتمة، وذكر أن التمهيد يتناول البيئة العامة في الأندلس والمغرب في عصر ابن هشام (القرن السادس)، وأما الباب الأول فقد تضمن ترجمة ابن هشام والتعريف بآثاره في فصلين.

وعالج الباب الثاني الفصيح وشروحه في فصلين أيضا ، وأما الباب الثالث وجاء في ثمانية فصول فقد كان صلب البحث وقد أوقفه الباحث على دراسة الكتاب موضوع البحث من حيث مادته ومنهجه وقضاياه ، ثم تحدث صاحب هذه الرسالة عن المنهج الذي اعتمده في هذه

الدراسة ، فذكر أنه أخذ بالمنهج الوصفي التحليلي مع الإفادة من بعض المناهج الأخرى . ثم تطرق إلى مصادر البحث فأشار إلى أنها متنوعة مخطوطة ومطبوعة: (كتب التراجم والطبقات، كتب اللغة والمعاجم، الدواوين الشعرية ، الدراسات الحديثة ، المقابلات الشخصية) . ثم ألمع إلى الصعوبات التي اعترضت طريقه أثناء فترة البحث فذكر منها : صعوبة الحصول على المخطوطات ، مما اقتضى منه الارتحال إلى عدد من بلدان المغرب والمشرق ، وختم كلمته هذه بإجمال الحديث في نتائج البحث .

رابعا ـ الدكتور البكري ومواصفات التحقيق :

ثم جاء دور الأستاذ البكري فاستهل تدخله بالثناء على الرسالة والتنويه بجهود صاحبها وحسن إلمامه بصنعة التحقيق ، بما يخول له مكانة حسنة في عملية دراسة التراث اللغوي وإحيائه ، ثم انتقل إلى تسجيل بعض الملاحظات ، يمكن إجمالها فيما يلي :

1 ـ إن عملية التحقيق تقتضي ممن ينوي الاشتغال بها مزيدا من العناية بعناصر التمحيص والتوثيق وحسن الإخراج ، ولا يكفي في الإخلال بهذه الجوانب التعلل بنقص الإمكانات التقنية في هذا الميدان . . .

2 ـ إن الباحث لم يخصص جهدا ملموسا في دراسة شخصية ابن هشام صاحب كتاب موضوع البحث ، ووضعها في إطار اتجاه علمي

معين يحسن تحديده : كأن يكون : لغويا أو معجميا ، أو نحويا ... بما يبرز ملامحه العلمية المتميزة والآفاق التي يندرج فيها من بين ما يندرج فيه علماء المغرب والمشرق .

3 - لم يعن الباحث العناية المطلوبة في هذا الحقل بدراسة المصطلحات التي استخدمها ابن هشام في كتابه موضوع البحث.

وختم الدكتور البكري مناقشة الباحث فيما جاء في رسالته ، بالتأكيد على أن هذه الملاحظ لا ترقى إلى النيل من القيمة العلمية لهذا البحث القيم .

خامسا - الدكتور الأعرجي والمزاوجة بين الجانب التاريخي والجانب اللغوي :

ثم أحال الدكتور نويوات رئيس الجلسة الكلمة إلى الأستاذ الأعرجي فاستهل مناقشة الباحث كسابقه الأستاذ البكري بالتنويه بالبحث وصاحبه ، معربا عن عميق شعوره بأن يشهد اليوم ميلاد محقق جديد، ثم انتقل إلى الإشارة بأن مناقشته ستتركز بوجه خاص في جانبين اثنين هما : الجانب التاريخي والجانب اللغوي بإبراز ما وهم فيه ابن هشام ، وما وهم فيه الباحث في فهم ابن هشام ، ومضى على هذا الطريق يسبر أغوار الرسالة - المتن والدراسة - في نظرات عميقة ودقيقة، كان يتتبع فيها مسيرة ابن هشام خطوة خطوة ويحلق في آفاق تحليلاته وأبعاد استنتاجاته، كما كان يستوقف الباحث بين الفينة والأخرى

للمناقشة وتصويب الرأي في هذه القضية أو تلك، فاستغرق الحوار لذلك بين الأعرجي من جهة ، وبين ابن هشام والعوفي من جهة أخرى أطول فترة ، في هذه الجلسة العلمية الأكاديمية ، كما غطى هذا الحوار مساحة واسعة شملت عدة جواتب من المتن والدراسة (ملاحظ منهجية، تصحيفات لغوية، استدراكات تاريخية) .

وعودا على بدء ختم الأستاذ الأعرجي مناقشته للباحث بالتأكيد ثانية على القيمة العلمية لرسالته .

سادسا ـ الدكتور نويوات وهاجس إحياء التراث اللغوي :

تم جاء دور الأستاذ نويوات رئيس لجنة المناقشة ، فألمع في مستهل كلمته إلى ضيق ما تبقى من الوقت ، مما يستدعي أن تكون مناقشته شديدة التركيز ، ثم شرع في مناقشة الباحث في جملة من القضايا التاريخية والمسائل اللغوية الدقيقة من بينها :

1 ـ إغفال الباحث توضيح مفهوم ابن هشام للفظ (العامة) في حديثه عن لحن العامة ويوضح الأستاذ نويوات أن مفهوم لفظ (العامة) يطلق اليوم على عامة الشعب، بينما كاب بالأمس يعني عامة العلماء والفقهاء والفلاسفة والأدباء ..، كما تنص على ذلك تطبيقات الزبيدي والجاحظ وغيرهما من العلماء المتقدمين ، وإن أول من أطلق لفظ (الخاصة) على جمهور العلماء هو (الحريري) .

2 ـ **ظاهرة الترادف :** يميل الباحث إلى الاعتقاد بوجود المترادفات في العربية ، والصواب غير ذلك ، فلفظة (جلس) غير (قعد)، وهذه الألفاظ: (القمح ، الحنطة، البر..) ليست ـ كما يراها بعضنا ـ مترادفات، وإنما هي لهجات .

3 ـ **ظاهرة الاشتقاق :** إن إفادة اللغات بعضها من بعض ظاهرة شائعة بين لغات الأمم منذ القديم ، ولا حرج في ذلك ، غير أن بعض القدامى كان لا يدرك الصواب أ حيانا في اشتقاق بعض الكلمات ، وخاصة الدخيلة منها، ويمثل الأستاذ نويوات لذلك ببعض اشتقاقات ابن هشام نفسه كقوله: إن (العربون) مشتق من (عرب) والصواب أن الكلمة ليست عربية أصلا. ومضى الدكتور نويوات في نظراته هذه العميقة الدقيقة على هذا النسق، فتناول كثيرا من المسائل العلمية، وعالج بالتصويب والتحقيق ما ليس بالقليل منها ثم أنهى تدخله بعبارات التنويه بالبحث وجهود صاحبه فيه .

سابعا ـ الدكتور بوخلخال والبحث عن الغائب الحاضر :

وجاء أخيرا في خاتمة قائمة المتدخلين من أساتذة هذه اللجنة المناقشة دور الأستاذ بوخلخال (المشرف إداريا)، وإذا كان من سبقه على هذه المنصة قد شكا من ضيق الوقت المتبقي له ، فماذا عساه هو أن يقول ، والساعة تشير إلى الثانية ظهرا ، وزملاؤه الذين سبقوه قد حصدوا طلائع الغلة وأتوا علو معظم الاستدراكات الممكنة ؟ ولم يجد

الأستاذ بوخلخال في هذه الحال بدا من الالتجاء إلى ظاهرة الاختزال والتكثيف لآرائه، فاستهلها بالإفصاح عن تمنياته لو أن الأستاذ(صبيح) المشرف الأصلي على هذه الرسالة كان حاضرا في هذه الجلسة لشهد بنفسه ثمرة توجيهاته التي أسداها لتلميذه الذي استطاع أن يشرفه ببحثه القيم ، ثم انتقل إلى تسجيل بعض الملاحظ من بينها :

1 ـ غموض الرؤية في التمييز ما بين بعض الظواهر الصوتية والصرفية والدلالية ..

2 ـ اضطراب في ترتيب بعض مصادر البحث .

3 ـ التأكيد على أن اكتشاف دراسة الدكتور مهدي عبيد جاسم التي سبق بها الباحث العوفي إلى الموضوع المعالج لا يقلل من القيمة العلمية للرسالة ما دام صاحبها لم يكرر غيره وأتى بما لم يأت به من سبقه إلى هذا الباب ، ثم ختم كلمته بما تواتر على ألسنة جميع أساتذة اللجنة المناقشة من وجوه الثناء على البحث وصاحبه .

ثامنا ـ الخلاصة :

رفعت الجلسة في أعقاب هذه المناقشات للمداولة بين أعضاء اللجنة وبعد برهة رجعت اللجنة إلى المدرج لتعلن على الملأ فوز الباحث العوفي بشهادة دكتوراه الدولة في الدراسات اللغوية بدرجة (مشرف جدا) مع تهنئة اللجنة ..فإلى الباحث الدكتور عبد الكريم العوفي أخلص التهاني وأصدق التمنيات بالتوفيق في مواصلة المسيرة

على هذا الطريق، إحياء لتراث أمتنا وتأصيلا لقيمه في النفوس وفي السلوك، وفي مختلف وجوه حياتنا.

9 ـ ملاحظ عامة:

ونخلص في ختام هذه الكلمة إلى تسجيل هذه الملاحظ :

1 ـ ستغرقت هذه الجلسة العلمية وقتا طويلا قارب الخمس ساعات، وكان الباحث طوال هذه المدة هادئا رصينا واثقا من إمكاناته النفسية والعلمية ، فجاءت إجاباته وتعقيباته على الأسئلة والتدخلات المطروحة دقيقة ووجيزة وهادئة وهادفة .

2 ـ كانت لهجة النقاش والحوار بين الطرفين (أعضاء اللجنة من نحو، والباحث من نحو آخر) متزنة ومرنة ومسالمة ، مما أضفى على سير المناقشة جوا علميا هادئا خاليا من أدنى مظاهر الإثارة والإحراج ، على خلاف ما كانت تشحن به أحيانا بعض المناقشات العلمية المماثلة على المنبر نفسه من مظاهر الاستفزاز والمماحكات من بعض ذوي النفوس المريضة.

3 ـ ظل الحضور يتابع بكل صبر وانسجام وإعجاب فقرات تلك الجلسة العلمية حتى نهايتها ، بالرغم من طول فترة النقاش وجفافه وبرودته أحيانا، وخلوه من القدر اللازم من حرارة الانفعال الهادف ، مما يعود بعضه أو كله لطبيعة القضايا العلمية المعالجة أثناء هذه الجلسة .

4 ـ لعل الميزة العامة التي طبعت تدخلات الأساتذة المناقشين في هذه الجلسة بدون استثناء ظاهرة التنويه بالبحث والثناء على جهود صاحبه وعلى روحه العلمية وشجاعته الأدبية ، ولا شك أن مرد هذا الإجماع في الحكم على البحث ، إنما يعود إلى ما ارتقى إليه في قيمته العلمية الذاتية ، وقد يرجع شيء من ذلك إلى طبيعة الموضوع المدروس الذي يتصل بإحدى مقومات شخصية الأمة (اللغة العربية) ، وقد يكون القصد من بعض ذلك توجيه رسالة تشجيع إلى الباحث ، ومن خلاله إلى كل من ينهج نهجه ويرمي رميه من الباحثين ، ترغيبا لهم على الاقتداء به والسير على طريقه في مدارسة التراث والعمل على إحيائه ، توثيقا للروابط بين ماضي أمتنا وحاضرها ، وتشييدا لآفاق مستقبلها ، وإعلاء لكلمتها ، وسموا بمكانتها بين الأمم الحية .

5 ـ إن الذي يشهد هذا اللقاء العلمي ويلمس من خلاله بعض ما يلاقيه الباحثون في طريقهم من عناء ، وبعض ما يعترض سبيلهم من عراقيل ومثبطات ، إن هذا المشاهد الذي يعيش هذه الحقائق ويعي أبعادها ، لا يسعه إلا أن يقدر موقف هؤلاء الباحثين وهم يرون أعمالهم التي سهروا الليالي على إنجازها طوال أعوام وأعوام ، تراوح مكانها أمدا من الدهر ليس بالقصير في دهاليز دور النشر دون أن تقدر على أن تبرحها نحو أهدافها في الإسهام فيما ينهض بواقع الأمة ويعزز خياراتها ويعضد مواقفها في بناء حاضرها ومستقبلها على النحو الذي تريد، وليس على النحو الذي يريد أن يراها عليه الآخرون .

6 ـ إن الشاهد على هذه الحال لا يملك أمام هذه المعاناة غير ما يجود به الوجدان من عواطف التعجب من نحو ، ومشاعر الاستغراب من نحو آخر ، فيدفعه ذلك إلى هذا السؤال ، متى تشهد عملية الطباعة وحركة النشر في بلادنا انطلاقتها الجادة الفاعلة للإسهام في نشر أعمال الباحثين وإخراجها من دائرة الظلام والنسيان ، مما قد يشجع أصحابها على المزيد من بذل الجهد في هذا الحقل ، خدمة للوطن والأمة ، ولا يكفي في ذلك أن تبقى جهودنا تجاه مقابل معاناة الباحثين مقصورة على المناسبات والحملات والمجاملات .. ثم تقلب الصفحة ويطوى السجل ، منتظرين فرصة أخرى قادمة حتى نهرع إلى ذاك السجل من جديد ونفتحه منيبين إلى عادتنا القديمة: حملات .. ومناسبات ..ومجاملات .. ويبقى الحال على ذلك الحال .. أعواما وأعواما !؟

7 ـ إن القضية تحتاج إلى موقف جاد يتكافأ مع ما يبذله جمهور العاملين من جهود في حقول المعرفة و العلم والفكر والأدب وغيرها من وجوه النشاط الوطني من نحو، وما ينتظر منهم الوطن والأمة من نحو آخر ، من إسهام فاعل في النهوض بهما نهضة علمية شاملة تخرجهما من التخلف والتبعية ، وتمكنهما من المناعة والحصانة من مخاطر التحديات الوافدة ..وتدفعهما على طريق الرقي والرخاء والاستقرار .. والله يبارك العمل الصالح ويجزي به .

د . محمد ابن سمينة

جامعة بن يوسف بن خدة الجزائر

طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية
وحدة الرغاية، الجزائر
2007
Achevé d'Imprimer sur les Presses
ENAG, Réghaïa
- Algerie -
Bp. 75 Z.I. Réghaïa Tél. : 021 84 80 10/84 86 11

الإيداع القانوني : 2005–1513
ISBN : 1112-65-23